الفصل الرابع:
الجامعة الأهلية فى دمنهور
"مقهى عبد المعطى المسيري"

وكانت دمنهور فى ذلك الوقت خلية نحل نشطة دون سائر المديريات.. وكانوا جميعا يتعاونون فى صفاء ومودة وإخلاص على طبع الكتب وإصداراها إحياء للأدب.. وكانت قهوة المسيرى منتدى أدبيا عامرا وحافلا على الدوام بالأدباء من القاهرة والإسكندرية ودمنهور.. وكان عبد المعطى قطب الدائرة وخلية منتجة ونشطة تظهر آثارها..

من أقوال الأديب الكبير
"محمود البدوي" فى كتاب
"ذكريات مطوية"

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول:

دور المقهى فى الحركة الثقافية فى مصر

"ذلك المثقف أو الأديب الذى يفكر فى زيارة مدينة التاريخ القديم والتجار الشطار لكى يتعرف إلى صور الحياة وعادات الناس هناك لا بد من أن يجلس على رصيف "مقهى المسيري" والذى يمثل ظاهرة مهمة عند أبناء المدينة المثقفين والأدباء والزجالين".

من مقولات "الأديب الكبير "يحيى حقي" فى افتتاحية جريدة "المجلة".

obeikandl.com

دور المقهى فى الحركة الثقافية فى مصر

لعب بعض المقاهى فى مصر دورا هاما فى الحياة الثقافية والسياسية فى النصف الأول من القرن الماضي. ومن أهم هذه المقاهي- إن لم يكن أهمها- والذى كان بمثابة جامعة أهلية للمعرفة وكذا الثقافة، "مقهى المسيري" الشهير بمدينة دمنهور لصاحبه الأديب الكبير الأستاذ "عبد المعطى المسيري" يرحمه الله، الذى كانت تربطه صلة قرابة بالدكتور عبد الوهاب المسيري، لكون الأجداد أولاد عم. وكان "د. عبد الوهاب المسيري" يعتبر الأستاذ عبد المعطى أستاذه ومعلمه وملهمه بغض النظر عن القرابة.

.. اللوجو الرسمى لـ"مقهى المسيري" فى الثلاثينيات من القرن العشرين..

المطلب الأول:

الظاهرة وصاحب الظاهرة

أولا: ظاهرة "مقهى المسيري" فى عيون كبار المثقفين

وظاهرة "مقهى المسيري"، ما كانت لتغيب على رجل مثل "د. عبد الوهاب المسيري" أن يصوغ لها وصفا ولو مختصرا فى سيرته الذاتية الأشهر "رحلتى الفكرية"، بصفته أهم معالم دمنهور الثقافية فى إبان شبابه، وقد ساهم مساهمة فعالة فى ظهور كثير من المبدعين والمثقفين، بل والمجددين فى القرن السابق، وكذا القرن الحالي. ولقد تحدث فى سيرته "رحلتى الفكرية" عن الفعاليات بالمقهى، وعن المشاهير الذين التقى بهم هناك.

ومما قال فى ذلك: "ومن معالم دمنهور الأساسية "مقهى المسيري" لصاحبه الأستاذ عبد المعطى المسيرى - رحمه الله - ترددت عليها مرة أو مرتين قبل دخول الجامعة وجلست على هامش جماعة الشعراء والفنانين والقصاصين والمفكرين والمثقفين ومحبى الثقافة، وبعد دخولى الجامعة، أصبحت عضوا أساسيا فى تلك الجامعة التى كانت تلتقى فى المقهى، فى جو كله مودة ودون استقطابات أيديولوجية ودون خوف أو وجل من التجريب أو الخطأ؛ فالمرء أمام أصدقائه لا يدعى ولا يضطر إلى موازنة الأمور، بل يعبر عما بداخله فى جرأة، وهو يعرف أن ما سيقوله سيقابل إما بالإعجاب وإما بالضحك والسخرية، وسخرية الأصدقاء، مفعمة بالحب (على عكس المؤتمرات العامة، التى أصبحت فضاءات زمنية ومساحات مكانية تلقى فيها أوراق طويلة تسمى "بحوث" أعدت بعناية مسبقا، توثق فيها أحيانا البدهيات، أو يظل الباحث يوازن نفسه حتى لا يقول شيئا! وهو يبذل قصارى جهده ألا يجرب وألا يخطئ وألا يترك ثغرة فى بحثه قد

يحاسب عليها. وهو عادة ما يلقى بحثه أمام جمهرة من الأساتذة لا يعرفهم ولا يعرفونه وفى إطار جو من التربص العام!).

إن أى مؤلف لا يكتب (للناس جميعا) وإنما لمجموعة محددة من البشر. وكل كاتب- فى تصوري- يحتاج إلى جماعة من القراء تتوافر فيهم عدة شروط: أن يكونوا مهتمين بالقضية التى يتناولها وأن يكونوا على مستوى فكرى يمكنهم من الحكم على أعماله فلا يكيلوا المدح دون حساب أو مقياس، وإلا يكونوا من الحاسدين الحاقدين. مثل هؤلاء يمكنهم توجيه النقد للمؤلف داخل أطار من الصداقة والتقبل المبدئي، ويعطيه قدرا من الشرعية، فهذا يشد من أزره، والحوار الدافئ الذكى يولد فى نفسه الثقة فيزداد الإبداع.

ومن أطرف الأشياء أننى حينما كنت طالبا فى المدرسة الثانوية كنت كلما أرسلت خطابا لإحدى الصحف، لأعبر عن إعجابى بشيء ما أو لأستنكر شيئا ما، أفاجأ بأن خطابى يجد طريقه إلى النشر، بل ويعطى مكان الصدارة أحيانا. وكنت أحار لهذه الظاهرة، وكان زملائى فى المدرسة يفسرونها بأن أسلوبى أدبى راق، فكنت أصدقهم وترتفع معنوياتى وتزداد ثقتى بنفسي. إلى أن اكتشفت أن المسألة مجرد تشابه أسماء، وأن كثيرا من محررى الصحف كان يظن أن عبد الوهاب المسيرى من دمنهور هو عبد المعطى المسيرى الأديب صاحب المقهى فى نفس المدينة!

وكان بيننا شاعر العامية حامد الأطمس والشاعر فتحى سعيد (رحمهما الله)، كما تعرفت على محمد صدقى كاتب القصة وعبد القادر حميدة وغيرهما. كان المقهى هو بيت الثقافة فى دمنهور. وكان أمين

يوسف غراب يتردد عليه، وقيل لى إن يحيى حقى ومحمد عبد الحليم عبد الله وغيرهما من المشاهير من أبناء البحيرة وممن عملوا فيها كانوا من رواد هذا المقهى الأدبي.

ولكن بعد قيام ثورة يوليو، تسارعت عملية التحديث التى تتسم بظهور الدولة المركزية القوية، فانتقل الأستاذ عبد المعطى المسيرى وحامد الأطمس إلى القاهرة ليعملا فى المجلس الأعلى للفنون والآداب (ومع هذا استمر المقهى، وما يزال - حسبما سمعت - منتدى ثقافيا يتردد عليه المثقفون والفنانون). وللأسف مات الأستاذ عبد المعطى المسيرى يوم موت الرئيس جمال عبد الناصر، وكان جهاز الدولة المركزية بأسره مشلولا عن الحركة، مشغولا بهول الحدث، ولذا اختفى الأستاذ عبد المعطى من حياة الأدبية والعامة فجأة" (١) .. انتهى.

.. إحدى ندوات المقهى بحضور رموز دينية وقيادات محلية ..

.. ومن الشهادات المهمة لدور المقهى فى إثراء الحركة الثقافية فى مصر؛ شهادة الأديب الكبير "محمود البدوي" فى إحدى زياراته للمقهى عندما قال: "وذهبنا إلى "مقهى المسيري" وترك عبد المعطى إدارة القهوة

(١) رحلتى الفكرية، مرجع سابق، ص٥٤، ٥٥.

لأحد عماله، وجلس معنا يرحب، ويقدم التحيات.. وسرعان ما جاء إلى القهوة أكثر من أديب دمنهوري.. وكانت دمنهور فى ذلك الوقت خلية نحل نشطة دون سائر المديريات.. وكانوا جميعا يتعاونون فى صفاء ومودة وإخلاص على طبع الكتب وإصداراها إحياء للأدب و انتعاشة دوما.. ولم تكن هناك شللية ولا ماركسية ولا تقدمية ولا رجعية، ولا كل البلاء الأزرق الذى زحف على البلاد، وظهر فى جو الأدب فلبد سماءه الصافية بالغيوم وقتل روح الفن المعيار الأول للأدب الصادق"(١) .

وقال أيضا: "كانت قهوة المسيرى منتدى أدبيا عامرا وحافلا على الدوام بالأدباء من القاهرة والإسكندرية ودمنهور، وكان عبد المعطى قطب الدائرة وخلية منتجة ونشطة تظهر آثارها.. فى كتاب يطبع فى دمنهور أو الإسكندرية لقربها من دمنهور.. كان المجتمع الأدبى منتجا ومفيدا.. ولم تكن اجتماعات القهوة تنتهى إلى مناقشات بيزنطية تذهب مع الريح".. ومن مآثر المقهى أنه أغرى الأديب الكبير "عبد القادر المازني" أن ينشيء له مدرسة فى دمنهور من أنصاره ومحبيه (٢) .

وعن دورها فى الحركة الثقافية العربية يقول "أ. رجب البنا": "عشت أهم تجربة ثقافية من خلال قهوة المسيرى التى لم تكن مقهى تقليديا بالمعنى المعروف. وصاحبها "عبد المعطى المسيري" لم يأخذ حقه حتى الآن من التقدير. فهو لم يحصل على أى قدر من التعليم

() مقال بعنوان "على رصيف قهوة المسيري"، لمحمود بدوي، على المكتبة الإليكترونية المجانية فى القصة القصيرة والأدب العربي، على الرابط:

http://elbadawy56.blogspot.com/200711//blog-post_8890.html.

(٢) المرجع السابق.

الرسمى ولكنه كان يصنف على أنه أحد الأدباء الكبار، وكان يكتب مقالات يعارض فيها طه حسين والعقاد.. وقد عرفت للمرة الأولى "نجيب محفوظ" و"يحيى حقي" و"لويس عوض" و"د. محمد مندور" من خلال قهوة المسيري، فهذه الأسماء الكبيرة كانت تتردد عليها لشعورهم أن دمنهور بها تجربة ثقافية كبيرة وجيل جديد من الأدباء و المفكرين.. وكنت واحدا من هؤلاء، وحتى الآن لم تتكرر حالة الفوران الثقافى التى تسببت فيها داخل دمنهور" (١) .

وعن دور "عبد المعطى المسيري" نفسه يقول "عبد الرشيد الذوادي": "وكانت رسالته فى الحياة أن يكتشف أصحاب المواهب الفنية والأدبية ويتبناها دون مقابل ويوجهها".. ويقول: "هذا الرجل وحده ساعد على إظهار عشرات من الشعراء والنقاد وكتاب القصة وأقام مئات الندوات يحضرها شباب المدينة، وينشغلوا بعدها بحوار مفيد" (٢)

.. صورة المقهى حاليا بعد ضمها للهيئة العامة لقصور الثقافة..

(١) مقال بعنوان "رجب البنا، اعتذرت عن رئاسة مجلس إدارة دار المعارف حتى لا أترك الأهرام، مرجع سابق.

(٢) مقاهى الأدباء فى الوطن العربي، ص١٥١.

ثانيا: تعريف بالأستاذ "عبد المعطى المسيري":

أ. عبد المعطى سنة (١٩٣٥م)..

ولد الأستاذ سنة (١٩٠٩م) فى إحدى حارات دمنهور - حارة الزرقا بمنطقة الصاغة- لأب متواضع يملك مقهى صغيرا، كان يسمى "مقهى رمسيس" أيام والده، وللظروف الاقتصادية المتواضعة رغم كبر حسب ونسب العائلة- عمل فى المقهى منذ الصغر.

وكما يقول "د. خالد عزب": "ومن أهم الأشياء التى جعلت المسيرى يهتم بالأدب تلك الطقوس التى كان يقوم بها الشاعر "أحمد محرم" فى ركنه الخاص بالمقهى حيث يكتب ويعد مادة الجريدة التى كان يصدرها فكان "عبد المعطى المسيري" يتعمد تجهيز المكان بنفسه ويظل قريبا منه" (١) .

وهو: الأديب الكبير، والمناضل الوطني، والقهوجى مكتشف المواهب.

والدمنهورى الفقير، ابن العائلة الأرستقراطية الثرية.

(١) مقال بعنوان "القهوجى الذى كتب كتبه طه حسين ومحمود تيمور مقدمات كتبه"، مرجع سابق.

obeikandl.com

وأحد أخطر أدباء القرن العشرين لفرط آثاره الثقافية على العالم العربى أجمع.

والأمى تلميذ الكبار وأستاذ الكبار، والذى تتلمذ على يد "توفيق الحكيم" و"أحمد محرم".

وصاحب الجامعة الأهلية العظمى، والتى تخرج على يديه منها عظماء رجال الفكر والأدب، ومنهم من تصدروا المشهد الثقافى فى القرن الماضي، وما زالت آثارهم ممتدة عبر القرن الحالي، مثل: "محمد عبد الحليم عبد الله" و"محمد صدقي" و"أمين يوسف غراب" و"خيرى شلبي" و"محسن الخياط " و"رجب البنا" و"فتحى سعيد" و"عبد القادر حميدة" و"حامد الأطمس" و"إسماعيل الحبروك" و"على شلش" و"صبرى العسكري"، وغيرهم كثير.

قال عنه "رجب البنا": "هو ينتمى إلى طائفة سقراط، فأعظم ما تركه ليس كتبه، ولكن عظمته فى أنه صاحب مدرسة فى دمنهور، فمقهاه كان حقيقة مدرسة وتلاميذه اليوم فى كل مجلة وصحيفة وفى الإذاعة والتلفزيون".

ولقد قام بالتقديم لكتبه كبار الأدباء مثل: "طه حسين" و"محمود تيمور". وممن أثنى على أسلوبه الأدبى صديقه عميد الأدب العربى "د. طه حسين" على صفحات الصحف وحين كتب له مقدمة كتابه "فى القهوة والأدب"، حيث قال فيه: "أحسست إعجاباً عظيما بهذا الرجل الذى ثقف نفسه لم يختلف إلى مدرسة ولم يجلس إلى أستاذ، وإنما تعلّم القراءة والكتابة فى السوق، وأخذ يقرأ ما يذاع فى

العامة، ثم قرأ لأكثر الكتاب المصريين، ثم ما نقل إلى العربية من آثار الغربيين، وهو الآن على كثرة ثقل أعباء الحياة عليه لا يستطيع أن يستقبل النهار والليل إلاّ قارئاً كاتبا وناقداً مفكرا. كل هذا خليق بالإعجاب وخليق بأن يحملنى على أن أهنئ هذا الكاتب الأديب تهنئة صادقة بهذا الجهد الخصب المتصل وبهذا التوفيق العظيم الذى أتيح له" (١) .

وهو نفس الكتاب الذى قال فيه المفكر اليسارى الكبير "محمود أمين العالم" : "صاحب المقهى الأديب "عبد المعطى المسيري" استطاع بكتابه "فى القهوة والأدب" الصادر سنة (١٩٣٦م) أن ينتزع من رأسى فلسفة أفلاطون ومثالياته".

وكذا قد أثنى عليه المستشرق الروسى الكبير "اغناطيوس كرانشوفسكي".

ومما يذكر عنه أنه حينما راسل الرئيس "جمال عبد الناصر" طالبا منه تدعيم دور الأقاليم فى الحركة الثقافية ضد الإقطاع الثقافى المسيطر فى القاهرة؛ بعث عبد الناصر عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس تحرير جريدة الجمهورية آنذاك "محمد أنور السادات" إلى المقهى الشهير، وقام بتدشين "نادى أدباء دمنهور" من "مقهى المسيري".

وقد كان من زوار مقهاه الدائمين أكبر رموز الفكر والأدب والفن

(١) انظر: سعيد، فتحي، فى بلاط الصحافة والأدب، سلسلة اقرأ، دار المعارف، مصر، عدد ديسمبر ١٩٨٥م، ص٢٢.

مثل: "يحيى حقي" و"محمود تيمور" و"توفيق الحكيم" و"نجيب محفوظ" و"زكى مبارك" و"الرافعي" و"محمد حسن الشجاعي" و" زكريا الحجاوي" و"عبد المعطى حجازي" و"صلاح عبد الصبور" و"على الراعي" و"أنور عبد الملك" و"عباس العقاد" و"عبد القادر المازني". كما زارها كل من "أ.هدى شعراوي"، و"أ.محمود البدوي"، و"الرئيس السادات"، و"أ. يوسف السباعي"، و"د. لويس عوض"، و"د. محمد مندور"، وغيرهم الكثير.

من ضمن ما كتب قصة قصيرة عن علاقته بالأديب الكبير "توفيق الحكيم" بعنوان "أهل الكهف" نشرت فى مجموعته القصصية الأشهر "مشوار طويل"، ومن المعروف لرواد المقهى إلى الآن أن "توفيق الحكيم" قد كتب أكثر من رواية على المقهى، فى ركن معروف من أركانها، مثل رواية "أهل الكهف" و"يوميات نائب فى الأرياف".

ولما ذاع صيت أ. عبد المعطى تعاقدت معه "إذاعة لندن" العربية التابعة لهيئة الإذاعة البريطانية لتسجيل قصصه القصيرة، مقابل (٥ جنيهات) عن القصة الواحدة، وبالفعل كان تجلس الجموع الغفيرة فى المقهى - وقت إذاعتها فى المساء - تلتف حول المذياع لسماعها.

وقد كان مفجرا لكثير من التظاهرات السياسية التى تخرج من المقهى، ومنها تظاهرة سنة (١٩٤٨م)، والتى ضمت أدباء وساسة ورجال دين شيوخ وقساوسة؛ إذ كانت تربطه صداقات عميقة مع رجال الأزهر والكنيسة (١) .

(١)مقال بعنوان "مقهى المسيرى فى دمنهور، سجل الثقافة المصرية" بقلم: داليا عاصم، بجريدة الشرق الأوسط، عدد١٢١٩٢ بتاريخ ٢٠١٢/٤/١٥م.

أما عن انتاجاته الأدبية فقد كتب أكثر من ٦٠٠ قصة، نشر منها الكثير فى سبع مجموعات قصصية هي:

فى الأدب والقهوة.. سنة (١٩٣٥م).

الظامئون.. سنة (١٩٤٠م).

من أقاصيص القهوة.. سنة (١٩٤٢م).

روح وجسد.. سنة (١٩٤٧م).

على رصيف القهوة.. سنة (١٩٤٩م).

الظلال الهاربة.. (بعد ١٩٥٠م).

مشوار طويل.. سنة (١٩٦٥م).

أما عن عالمية مستوى أدب "عبد المعطى المسيري" فقد جاء فى مجلة الرسالة لصاحبها الأستاذ "محمد حسن الزيات": "فأقاصيص من القهوة، هى من أمتع ما قرأت من مجموعات القصص المصرى الحديث، وهى شئ يبشر بمستقبل باهر ونضج قريب للأقصوصة المصرية التى هى ظاهرة من أقوى ظاهرات الأدب وأحبها إلى القلوب، فأقصوصة "حلة العيد" و "الحاج بكار" ثم قصة "الحياة فى القهوة" لا تقل عن أبدع ما أنشأه تشيكوف وأندرييف وجوركى من القصص القصيرة. وليس هذا كلاماً نلقيه على عواهنه، فلمن شاء أن يقرأها وأن يرى بعد ذلك رأيه فيما نقول.. وسأذكر دائماً أن ميزة الأستاذ المسيرى هى قدرته على تحديد هدف القصة، وخلق موضوعها

obeikandl.com

خلقاً كاملاً طريفاً" (١) .

وقد فاز بجائزة القصة القصيرة سنة (١٩٥٨م).

ومما يذكر أنه المهندس الراعى والمؤسس للمؤتمر الأول لأدباء الأقاليم بدمنهور، والذى ترأسه الأديب الكبير "يحيى حقي" سنة (١٩٥٨م).

كما كرمه أول مؤتمر لأدباء مصر فى الأقاليم سنة (١٩٨٤م) ومنحته وزارة الثقافة المصرية شهادة تقدير تقديرا لدوره المهم فى خدمة الأدب المصرى المعاصر (٢) .

وقد توفى فى يوم مشهود غفل الناس عنه لانشغالهم بتشييع فقيدهم الرئيس "جمال عبد الناصر". إنه الذى قال عنه الأديب الكبير "يحيى حقي": "ذلك المثقف أو الأديب الذى يفكر فى زيارة مدينة التاريخ القديم والتجار الشطار لكى يتعرف إلى صور الحياة وعادات الناس هناك لا بد من أن يجلس على رصيف "مقهى المسيري" الذى يمثل ظاهرة مهمة عند أبناء المدينة المثقفين والأدباء والزجالين" (٣) .

---

(١) مجلة الرسالة، العدد ٥٥٨ بتاريخ ١٣ مارس ١٩٤٤م.

(٢) انظر: شبكة المعرفة المجتمعية "كنانة أون لاين، موسوعة الشخصيات، حرف (ع)، على الرابط: http://www.kenanaonline.net/page/557

(٣) مقال بعنوان "القهوجى الذى كتب كتبه طه حسين ومحمود تيمور مقدمات كتبه"، مرجع سابق.

openkandil.com

"أ. عبد المعطى المسيري" يلقى كلمة فى حفل تكريم الأديب الكبير "محمود تيمور"..

المطلب الثاني:

كتابات نادرة للأستاذ "عبد المعطى المسيري":

أولاً: قصة أهل الكهف

وهى مما كتب "أ. عبد المعطى المسيري" عن علاقته بالأديب الكبير "توفيق الحكيم"، وهى قصة قصيرة بعنوان "أهل الكهف" نشرت فى مجموعته القصصية الأشهر "مشوار طويل" المفقودة حاليا، وهى تحكى عن أول علاقة الأستاذ الحكيم بـ"عبد المعطى المسيري"؛ وذلك لما أحيل أ. عبد المعطى للنيابة للتحقيق فى مقال كتبه حينما كان عضو مجلس بلدية مدينة دمنهور، يطالب فيه بتغيير اسم "شارع الأمير فاروق" إلى "شارع عرابي"، وهو الأمر الذى حدث بالفعل بعد "ثورة ٢٣يوليو".

وقد استطاع الباحث بفضل من الله ومنَّة الحصول على المجموعة القصصية "مشوار طويل".. وإليكم هذى القصة القصيرة:

نص قصة "أهل الكهف" من مجموعة "مشوار طويل":

[ساعتان كاملتان تكون خلالهما قهوة رمسيس بدمنهور خالية تماما من الرواد ليس بها إلا ثلاثة من الصبية يتولون نظافة القهوة، وتهيئتها لاستقبال الزبائن الذين يهجرونها من الثانية ظهرا، ويبدءون فى التدفق عليها بعد الساعة الرابعة ليشربوا قهوة العصر...

الصبيان الثلاثة: فتيحة، ومخيمر، للكنس والرش ومسح الموائد، والثالث "العبد لله" وعمله داخل النصبة "البوفيه" ليلبى تجهيز الطلبات، حيث لا طلبات!! ولذلك يقضى الوقت فى القراءة، أو فى تأمل ومراقبة ذلك "الساحر العجيب" صاحب الوجه الجميل، والشعر الطويل، يردد وهو شارد الفكر، تائه النظرات: ميشيلينيا... قطمير... بريسكا، بريسكا!! والذى يبدو وكأنه يخاطب أشخاصا أمامه، فهو يشير بيديه غاضبا تارة، ومقهقها طورا، وشعره الطويل يداعب وجهه!!

هذا الزبون الجديد، أكبر الظن أنه كان يبحث عن مكان مهجور خال من الناس، ثم اكتشف أن قهوتنا تكون من الثانية، حتى الرابعة خاوية كفؤاد أم موسى. ولذلك فهو يمضى هاتين الساعتين جالسا فى ممشى صغير خلف النصبة، يمارس سحره العجيب الذى شدنى إليه فأفسد على متعة القراءة، وجعلنى أرهف أذنى لأستمتع بهذا السحر الذى كان يردده بصوت عذب رغم خفوته: البعث، الحب، الزمن، مرنوخ، قطمير، برسكا...

فى تلك الأيام بدأت محاولاتى الكتابية.. بدأت فى تلك الفترة التى

كان الاستعمار الفرنسى يرهق فيها بلاد المغرب بفرض سيادته الدينية، بعد أن فرغ من فرض سيادته السياسية.. إذ نشطت بعثات التبشير فى تنصير الأطفال الذين تغريهم بالالتحاق بالملاجئ والمدارس، حيث يجدون المأوى والمأكل، الذى عز على ذويهم توفيره لهم، فقد استنزف استغلال المستعمرين خيرات البلاد، ولم يترك للناس إلا الجوع والحرمان.

فى ذلك الوقت كانت الصحف تنشر، والألسنة تتحدث بما تنزله السياسة الفرنسية بالمغرب من تعذيب وتنكيل، فهزتنى تلك المأساة، فرحت أكتب وأنشر فى الصحف ساخطا على أسلوب فرنسا الاستعماري، ومنددا بأعمالها الوحشية..

وحدث أن استدعيت للنيابة..

لماذا؟ لست أدري؟

وهناك فى النيابة رأيت عجبا!!

رأيت زبوننا الساحر، ببزته الأنيقة رغم قلة عنايته بها، وشعره الطويل المنفوش يحدق فى سقف الحجرة مرددا بصوت خافت! "إليك عنى يا قطمير!! انتظر يا مرنوش!! أقبلى يا برسكا.. أغاضبة يا عزيزتي!؟ ألا تريدين أن تكونى قديسة!؟ حسنا.. لك هذا.. "امرأة أحبت".

وكان حارسى يتعوذ ويحوقل فى همس وقد استولى عليه العجب!!

أما أنا فقد ظننت أن سعادة البك "النيابة" يستعين بالسحر عند نظره القضايا، فحمدت الله لأنى شيء يمكن السحر وشياطينه من الوشاية بي..

وضرب حارسى الأرض بحذائه الميرى الضخم.. فاعتدلت النيابة!! ولمحت معاناة الساحر وهو ينقل نفسه من دنيا السحر، إلى دنيا النيابة...

- أنت متهم بالتهديد بالقتل.

وتناول أوراقا ثم أمسك بإحداها وحدق فى وجهى وقال:

- هل أرسلت هذا الخطاب!؟

فنظرت فى الورقة وأجبت: لا يا أفندم.

قال: ما دليلك؟

قلت: ما دليلكم أنتم عليّ؟

فتبسم وقال: هذا الخطاب.

وعاد إلى شروده، راح ينظر فى السقف، وينقر على المكتب، ثم نظر إلى أوراقه وقال:

obeikandl.com

- جاوب!؟ دليلنا هذا الخطاب.

- لم أكتبه يا أفندم.. وهناك خبراء فى الخطوط!!

- ولكن التقارير تقول إنك تكتب، وتخطب، وتحرض الناس على مقاطعة هذه الجريدة؟

- هذا شيء... وتهديد محرر الجريدة بالقتل شيء آخر.

- أليس هذا التوقيع، اسمك بالفعل!؟

- هذه المسألة يا أفندم!! إذ لو فرض أننى أرسلت هذا الخطاب كنت أحتاط، فلا أوقع باسمى الصريح على الأقل!؟

ورجع الساحر إلى شروده... ورجعت أنا إلى رأسى التى شرعت تدور... ثم تذكرت أمرا... تذكرت أن فى بيتى صندوقا به الكثير من الصحف التى نشرت فيها حملاتى على فرنسا وعلى الجريدة ومحررها فاستأذنت النيابة، وشرحت الأمر... ورجوت أن يأذن فيطلع عليها...

وما أسرع أن طار أخى وأحضر الصندوق...

وقلت للساحر وهو يدير ظهره نظرة فى بعض الصحف والمجلات:

- ألست معى فى أن من يملك القلم، لا يحتاج إلى السيف!؟ وأن مسألة الخطاب، لا تصلح وسيلة إلا للعاجز، أو الجاهل!؟

فظهر الارتياح على وجهه وسمعته يهمس باسمًا:

معه حق.. إن القلم حقيقة أمضى من السيف، وراح يكتب فى ورق أمامه..

وفى هذه الأثناء حضر محام بارز من المدينة.. تطوع لحضور التحقيق معي.

ولكن الساحر تبسم وقال:

المسألة انتهت، وصاحبنا ليس فى حاجة إلى محام.

ثم التفت إليَّ وقال:

تستطيع أن تنصرف إذا أحببت.

فتقدمت منه، وسلمت شاكرًا، فقال، وهو يشد على يدى هامسًا:

مع السلامة... حضورك هنا كان دفعة من ضريبة القلم...

ومضيت وأنا أنظر إلى السقف الذى يستلهم منه الساحر وحيه فشكرت لشياطينه: قطمير ومرنوش، وبريسكا.

من يدري؟ ربما كان لهم يد فى إنقاذى وتهوين المسألة لديه...

وعدت إلى القهوة.. وجعلت أرنو إلى الركن الذى اختارته "النيابة" وأقول لنفسي: بعد قليل تحضر النيابة، ويحضر معها السحر والشياطين!!].. انتهى.

ثانيًا: خطابه إلى ولده فى كتاب "الظامئون":

وقد كتب لولده خطابا مؤثرا يكشف فيه عن نفسه غطاءً لا يستطيع غيره كشف ما وراءه، متحدثا عن دوره الرسالى فى رعاية الفنون والآداب فى مصر، معرجا على الحياة الصعبة التى عاناها. وقد نشر هذا الخطاب فى كتابه "الظامئون" (١) ..

ومما كتب فيه:

[ولدى.. ما من مرة قبلتنى إلا وأحسسنا معا بأننا قد عشنا كل ما فى وسع الإنسان أن يعيش وظفرنا بكل ما فى الوجود من نعيم، وقبلة منك تجعلنى أستقبل الحياة بعزم جبار، وتهون علىَّ أثقالها وأعباءها.. وتنسينى تجهمها وهمومها.. وتصعد بى إلى دنيا غير دنيا الناس، آنس إلى صفوها وألتذ بنعيمها، حتى إذا عدت إلى دنياهم كنت أحسنهم راحة واستجماما وصفاء.. أتذكر أنك أشرت مرة إلى صورة قائد عظيم وتمتمت بما يفهم منه أنك تحب أن تكون مثله..؟ بكيت يا ولدى لأنى أعرف أن فقرى يحول بينى وبين ما تريد.. ويقعد بى عن إنشائك كما أحب وكما ينبغى أن ينشأ الأولاد فى هذا العصر.. بكيت لأن أولاد الفقراء لم يتهيأ لهم طريق العلم كما هو الحال فى الأمم الناهضة..

نعم أنى فقير ولكنى كنت سعيدا بفقرى أحوله إلى غنى وسعادة، كنت إذا تنبهت عينى لمشهد من مشاهد الدنيا، تيقظ قلبى فاستغنى

(١) ص٢٣ من الكتاب، طبعة سبتمبر سنة ١٩٣٦م.

وأغناها.. كنت أمشى فى المروج فأشهد الطبيعة الباسمة، والقمر الزاهي، والبحر الضاحك، فأضحك من تهافت الإنسان على الصغائر، وأحمد الله الذى سوى بين الناس فى المسائل الكبرى فجعلها اشتراكية فى الماء والهواء والطبيعة..

لى فيك أمل قوى جبار حينما تنشأ وتبلغ قدرك.. لأنك ابن رجل فقير بنفسه ولا يجد حرجا من القول بأنه استطاع الكثير رغم ما صادفه من عثرات..

استطاع أن يظفر بعطف زعيمة النهضة النسائية "هدى شعراوي" وزعماء الأدب طه حسين وأحمد أمين وتيمور والرافعى وتقدير المستشرق العظيم "كراتشكوفسكى" واستطاع أن يملأ الصحف بكتابته ويشغلها بالحديث عنه..

واستطاع أن يخرج للآن كتابين فى الأدب والاجتماع وما زال يرجو ويعمل لإصدار عشرين..

واستطاع أبعد من ذلك.. استطاع أن يوفق بين مهنته وعمله فى القهوة وبين الأدب، فوزع أعصابه توزيعا منتظما ليس فى طوق كل إنسان.. فهو عدة رجال فى رجل إن استقام هذا التعبير..!

عاش أبوك فى جحيم الحياة لا على هامشها، فأنتج للوطن أولادا وللفن ألوانا.. ووفق لذلك وفى عنقه أسرة كثيرة المطالب، كبيرة العدد، ورغم أنه لم يذهب إلى المدرسة ولم يجلس إلى أستاذ، وكان

فـى بيئـة تيسـر للمـرء اقتحـام الرذيلـة والجـرى وراء الملـذات.. ولكـن مـن ذلـك لـم يلهـه عـن المسـاهمة فـى الأدب والتأثيـر فيـه..

كان يحاسـب نفسـه كل يـوم عمـا أضافـه لعقلـه مـن التعليـم والتثقيـف.. كمـا يحاسـب رواد القهـوة علـى ثمـن المشـروبات..] .. انتهـى.

obeikandl.com

المبحث الثاني:
"مقهى المسيري" بين عبق الزمان..
وفلسفة المكان"

"رصيف المقهى كان ملجأ الأدباء والكتاب، كان البوتقة التى صهرت عقلى ووجدانى وتفكيرى وشعورى بفضل جماعة الأدباء والكتاب هناك".

من مقولات الأديب الكبير
"أمين يوسف غراب بجريدة
"وطني" (يوليو ١٦٩١م)

obeikandl.com

المبحث الثاني:
"مقهى المسيري" بين عبق الزمان وفلسفة المكان

المطلب الأول:
بعض من أنشطة "مقهى المسيري"

أولا: بعض من أنشطة المقهى السياسية:

كان "عبد المعطى المسيري" مهتما بالشأن العام، متماهياً مع قضايا أمته، ودائم الاتصال بالجماهير. وكان يرى أنه الضرورى الكشف عن معاناة الشعب المصرى حتى تنتبه إليها الحكومات, وتعمل على رفع تلك المعاناة، وإقالة المهمشين من هذا الشعب المسكين من عثراتهم. وكان دائم الاتصال أيضا مع الحُكام ينصح لهم، وأحيانا كثيرة يعارضهم. ومن مواقفه فى ذلك.

ومن مظاهر اهتمامه بالشأن العام [مثالاً لا حصراً]:

١- مراسلته للرئيس "جمال عبد الناصر" بشكواه من عدم الاهتمام بثقافة الأقاليم ومبدعيها وقصر الاهتمام على القاهرة وأدبائها.. ومما جاء فى رسالته نصًا: "لابد من تفتيت الإقطاع الثقافى المسيطر

obeikandl.com

في القاهرة" .. فكان أن أرسل له "أنور السادات" عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس تحرير جريدة الجمهورية حينذاك ليتعرف على مشاكل أدباء دمنهور الثقافية، وزار السادات المقهى وحضر إحدى الندوات الثقافية التى أقيمت خصيصاً بهذه المناسبة وسلمه السادات رسالة من "جمال عبد الناصر" يعبر فيها عن مدى إعزازه وتقديره للدور الرائد الذى يقوم به "عبد المعطى المسيري" (١) .

٢- دور "عبد المعطى المسيري" فى تحريك الشعور الثورى لدى الطبقات الكادحة من الشعب فى "حرب فلسطين ١٩٤٨م"، حيث كانت تخرج المظاهرات لنصرة الشعب الفلسطينى من المقهى (٢) . والجدير بالذكر أن معظم تظاهرات المقهى كانت تضم شيوخا وقساوسة.

٣- دور المقهى كغرفة عمليات ميدانية لتأييد ثوار يوليو، وفى حالة تأهب مستمر ومنه خرجت جموع المثقفين إلى شوارع المدينة مؤيدة للضباط الأحرار، عندما اندلعت "ثورة يوليو ١٩٥٢م" (٣)

٤- اشتراكه فى العمل العام وترشيح نفسه للمجلس المحلى - المسمى مجلس بلدية دمنهور - ولا يُنسى فى هذا السياق وقوفه فى المجلس ضد رغبة ملك مصر السابق "فاروق الأول" بمطالبته بتغيير اسم أهم شوارع مدينة دمنهور من "شارع الأمير فاروق" إلى "شارع

(١) انظر: حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش، ص١٤١، ١٤٢.

(٢) ديوان المديرية، فيلم تسجيلى عن رحلة المسيرى الفكرية، للمخرجة لمياء جودة، إنتاج قناة النيل للأخبار، على لسان الأستاذ إبراهيم المسيرى ابن أخو "عبد المعطى المسيري".

(٣) أنظر: مقال بعنوان "القهوجى الذى كتب كتبه طه حسين ومحمود تيمور مقدمات كتبه"، مرجع سابق.

أحمد عرابي" زعيم الشعب والمهمشين، وما كتابته لقصة "أهل الكهف" بمجموعته القصصية "مشوار طويل" إلا دليل دامغ على توثيق تلك الحادثة (١) .. والطريف أنه بالفعل تحول اسم الشارع إلى "شارع عرابي" بعد "ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م" (٢) .

٥- تنظيراته السياسية المكتوبة والمتوافقة مع صيرورة الأحداث السياسية فى مقالاته بـ"جريدة الوادي" و"جريدة القاهرة" التى يرأس تحريرها "طه حسين" و"جريدة السياسة" وأى جريدة يريد الكتابة فيها، وكذا قصصه المؤلفة التى تحمل نفس العبق، وعلى نفس القضايا تدندن.. ناهيك عن الإبداعات والتنظيرات السياسية لكثير من تلاميذه من رواد المقهى.

٦- اشتراكه فى جمع التبرعات لتسليح الجيش المصرى لحرب "فلسطين ١٩٤٨م"، وفى أحداث جسام أخرى ما يشبه ذلك، حيث أنه كان يحظى بثقة الناس فى المدينة وما حولها. ومن ذلك؛ على سبيل المثال: تبرعه بإيراد المقهى لنصرة الشعب الفلسطينى فى "حرب فلسطين ١٩٤٨م"(٣).

٧- تواصله الدائم والمستمر مع ممثلى الحكام فى البحيرة من أمثال

(١) انظر: مشوار طويل، مرجع سابق.

(٢) أنظر: حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش، ص١٤٢.

(٣) ويوثق ذلك ما أهداه إلى الكاتب مؤرخ دمنهور "أ. خالد معروف" (مؤسس صفحة "دمنهور صور وحكايات قديمة" التاريخية المصورة) من وثيقة تاريخية تحت يده من "على حلمى بك" (مدير مديرية البحيرة آنذاك) فى ٣١ مايو سنة ١٩٤٨م إلى حضرة المحترم الأستاذ "عبد المعطى المسيري" (الأديب القهوجي) لموقفه النبيل وشعوره الوطنى وتبرعه بإيراد مقهى المسيرى بدمنهور لمساندة الجيش المصرى فى حربه ضد عصابات الإرهاب الصهيونى فى فلسطين.

"وجيه أباظة" - أول محافظ للبحيرة - وعمه الشاعر الكبير "عزيز أباظة" - من أواخر المديرين لمديرية البحيرة قبل تحويلها لمحافظة - وكذا كل مدير مديرية قبله وبعده. وقد كان الحكام يعملون لهذا التجمع ألف حساب، فكما يقول الشاعر ورئيس العلاقات العامة بمحافظة البحيرة آنذاك - الأستاذ "حسن قاسم" متحدثا عن "وجيه أباظة": " إلا إنه وجد ظاهرة غريبة للغاية قد لا تتوفر لمدينة من مدن مصر وجد دمنهور تعج بالأدباء والشعراء والمثقفين والزجالين والفنانين التشكيليين وممثلى المسرح والموسيقيين الموهوبين. ووجد أن هؤلاء يشكلون ثقلا اجتماعيا خطيرا لا يمكن لأى مدقق أن يتجاهله ولا يضعه على رأس خريطته واهتمامه. فقد كان هناك "مقهى المسيري" وكان صاحب المقهى يشكل مدرسة أدبية قائمة بذاتها ويحج إلى المقهى كل من أصابته حرفة الأدب" (١) .

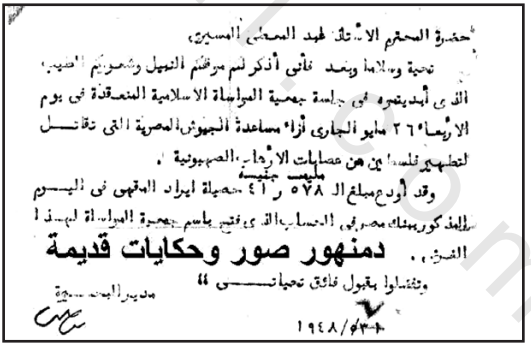
حضرة المحترم الأستاذ أحمد المحلى المسيرى،
تحية وسلاما وبعد فانى أذكر لكم مرقوم النبيل وشعوركم الطيب الذى أبديتموه فى جلسة جمعية المراعاة الاسلامية المنعقدة فى يوم الاربعاء ٢٦ مايو الجارى لزاء مساعدة الجيوش المصرية التى تقاتل لتطهير فلسطين من عصابات الارهاب الصهيونية.
مليم جنيه
وقد أودع مبلغ الـ ٥٧٨ ر ٤١ حصيلة ايراد المقهى فى اليوم المذكور بحساب مصرفى الحساب الذى فتح باسم جمعية المراعاة لهذا الغرض.. دمنهور صور وحكايات قديمة
وتفضلوا بقبول فائق تحياتى "
مدير الجمعية
١٩٤٨/٥/٣٠

..صورة من صفحة "دمنهور صور وحكايات قديمة" لخطاب الشكر الموجه من مدير مديرية البحيرة "على بك حلمي" للأديب الكبير لتبرعه بايراد المقهى لصالح الجيش المصرى المشارك فى حرب فلسطين الأولى..

مما يذكر عن امتداد النشاط التوعوى لـ"مقهى المسيري" إلى

(١) إمام، عبد الله، وجيه أباظة،١٠ سنوات فى الحكم، عربية للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٦٤.

محافل أخرى خارج المقهى، أن "أ.عبد المعطى المسيري" قد وسع من نطاق أنشطة المقهى على مستويات عدة تطال معظم المحافل الاجتماعية.

ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١- فى المساجد والكنائس: يقول الأستاذ "رجب البنا": "كنا نعقد ندوات فى الكنيسة وفى الجوامع، ساعد على ذلك وجود أبونا بولس، وكان مهندسا مثقفا، والشيخ الطنوبي، شيخ مسجد التوبة أكبر مساجد دمنهور، وكان كلاهما يتبادل الخطب فى الكنائس والجوامع، كانت دمنهور تعيش أجواء ثقافية رائعة" (١) . والجدير بالذكر أن القس "بولس" كان رجل دين ذا ثقافة عالية، وكان يعشق الشعر العربي، وقد اتخذ من "عبد المعطى المسيري" أستاذا له، وكان من رواد "مقهى المسيري" المعروفين (٢) .

٢- فى الأندية الرياضية والاجتماعية: قد كان من المعلوم عن "عبد المعطى المسيري" تحيُّزه التام لطبقات المهمشين، وكان مشاركا دائما هو ورواد منتداه فى المقهى فى أنشطة الجمعيات الخيرية السائدة آنذاك، بتحريض منه على ذلك، وخاصة جمعيات البر والمواساة. أما عن منتديات الأغنياء: فقد كان من روادها أيضا، ربما بغرض التواصل وحثهم على مواطن الخير، وهذا ما قرره "أ.صبرى العسكري" عن أستاذه من حضوره الدائم لأنشطة النادى الاجتماعى الرياضى للمدينة،

(١) مقال بعنوان "مقهى المسيرى فى دمنهور، سجل الثقافة المصرية"، مرجع سابق.

(٢) انظر: حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش، ص ١٤٢.

وكذا تواصله مع كل الفئات، حتى البرجوازية منها والتى لا ينتمى هو إليها نفسيًا وفكريًا فى قوله: "والحق يقال: إن المسيرى على الرغم من ثوريته أبقى حباله ممدودة إلى أبناء البرجوازية الكبيرة؛ خاصة بعد أن تكأكؤوا حول أنفسهم فى نادى دمنهور الاجتماعي".

٣- فى السجون: يقول الأستاذ "رجب البنا": "حتى أننا عملنا ندوات فى السجن وفوجئنا بوجود عدد كبير ممن لديهم موهبة الشعر بين السجناء فكانت أمسيات رائعة وكان مأمور السجن معجبا بها جدا، خاصة أن سلوك المساجين تحسن كثيرا.." (١).

٤- فى المناسبات والأعياد: كان "مقهى المسيري" يحتفل بمعظم المناسبات الوطنية والدينية وخاصة فى شهر رمضان: "كان المسيرى يقيم يوميا إفطارا جماعيا طوال شهر رمضان، وكان المسيحيون يجلسون على الموائد جنبا إلى جنب معنا، وكان على رأسهم أبونا بولس، والمصور الأرمنى "فرام"، والمصوران "نجم" و"بترو"، و"جوزيف حنا" الذى كان من تلاميذ المسيري" (٢).

ثالثا: بعض من أنشطة المقهى فى رعاية الفنون:

اشتهر "مقهى المسيري" بتبنى صنوف الآداب بين كل أو جُل رواده، من رواية وشعر وقصة قصيرة ونثر وحكايات ودراما.. الخ.. وقد كان من رواد المقهى الكثير من النقاد الذين يدندون على انتاجات رواد المقهى. لكن من أنشطة المقهى ما هو مجهول عنها: رعاية الفنون

(١) مقال بعنوان "مقهى المسيرى فى دمنهور، سجل الثقافة المصرية"، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

جانبا إلى جنب مع الآداب وأشكالها.

ومنها؛ على سبيل المثال لا الحصر:

١- الفن التشكيلى والتصوير الفوتوغرافى:

يحدثنا كل من حضر الوهج الثقافى لـ"مقهى المسيري" عن معارض فنون تشكيلية عديدة حدثت داخل المقهى، وعلى أزمنة متقاربة وفى مرات عديدة. وقد تحدث "خيرى شلبي" عن احتضان المقهى لفنانين تشكليين؛ مثل أستاذه الرسام والفنان التشكيلى "بهاء الدين الصاوي" الذى كان سببا فى تعرفه على المسيرى الأستاذ (١) .

وقد صمم له الصاوى غلاف كتابه "روح وجسد"، وصمم له كتاب "الظامئون" الفنان التشكيلى "شفيق رزق الله" صاحب كتاب "معالم باريس" وأحد تلاميذ المسيري. وكذا كانت تقام معارض التصوير الفوتوغرافى من المصور الأرمنى "إفرام"، والمصورين "نجم" و"بترو"، و"جوزيف حنا" الذى كان من تلاميذ المسيري". فضلاً عن تلميذ المسيرى النجيب المصور الشهير "أنطوان ألبير" الذى يعدونه من أشهر مصورى الصحافة المصرية فى تاريخها.

٢- الإذاعة والمسرح والسينما:

بالنسبة للإذاعة:

(١) مقال بعنوان "فى الإنشاء تعمير للعقول"، بقلم: خيرى شلبي"، بجريدة الأهرام، العدد ٤٥٤٢٩، السنة ١٣٥، بتاريخ ٢٤ إبريل، ٢٠٠١م.

كان للحضور الإذاعى من بعض رواد المقهى ما يثلج صدر باقى الرواد الذين يفتخرون بجلسائهم من المشاهير. فبالنسبة للأستاذ عبد المعطى نفسه: "لما ذاع صيته تعاقدت معه، إذاعة لندن العربية التابعة لهيئة الإذاعة البريطانية لتسجيل قصصه القصيرة، مقابل خمسة جنيهات عن القصة الواحدة، وبالفعل كان وقت إذاعتها فى المساء، تجلس الجموع الغفيرة فى المقهى ملتفة حول المذياع لسماعها" (١).

أما بالنسبة لباقى الرواد، فقد كانوا ملأ السمع والبصر فى كل وسائل الإعلام، ومنها الإذاعة التى صدحت بأعمال زجال مصر "حامد الأطمس"؛ مثل "أوبريت الطير" والأوبريت الغنائى الشهير "حسن خولى الجنينة"، والتمثيلية الإذاعية الشهيرة "المرجيحة والحمامة"، والتى تعالج "حادثة دنشواي" دراميًا، وشارك فيها الشاعر الثورى الكبير "نجيب سرور" كممثل.

فضلاً عن رواية "أهل الكهف" لـ"توفيق الحكيم" من إخراج الفنان "محمود مرسي".. وغير ذلك الكثير.

والجدير بالذكر أن أحد تلاميذ المسيرى "سعد القاضي" يعتبرونه رائدا إذاعيا كبيرا لطول عرض برامجه الإذاعية بشكل ممتد ومستمر تعدى الثلاثين سنة على التوالي.

وكذا أصغر التلاميذ الذين عاصروا المسيرى "عمر بطيشة" كان رئيسا للإذاعة المصرية، ويعدونه من أهم الإذاعيين فى تاريخ الإذاعة

(١) مقال بعنوان "مقهى المسيرى فى دمنهور، سجل الثقافة المصرية"، مرجع سابق.

المصرية فى مجمل تاريخها.

وعلى عطف الإذاعة هناك من رواد المقهى من ساهموا فى تطوير الشاشة المرئية "التليفزيون"، إما بأعمال درامية أو برامج.. إلخ، وإما بمهنية وحرفية لهم فيها الريادة، مثل قارئ نشرة الأخبار الشهير "عبد الوهاب عطا" أحد مؤسسى التليفزيون بدولة البحرين الشقيق، والمخرج التليفزيونى "أبو بكر رشوان" أحد أدباء المقهى.

وبالنسبة للمسرح:

فقد حوَت المناقشات الأدبية فى صالونات وندوات المقهى كل فنون المسرح، من "أدب مسرح" و"كتابة مسرحية ودراما" و"نقد مسرحي" و"إخراج مسرحي" و"ديكور مسرح".. إلخ.. بل إن الكثير من رواد المقهى كان لهم من الأنشطة فى كل هذه الفنون.. فمثالا لا حصرا:

أحد أهم رعاة المقهى "توفيق الحكيم" هو أحد أهم رواد الكتابة المسرحية، بالذات "المسرح الذهني".

كما كان الأستاذ "أمين يوسف غراب" ممثلا مسرحيا، ومديرا للفرقة المسرحية الرئيسية فى دمنهور، وقد كان يستخدم علاقاته المنسوجة فى المقهى لاستجلاب الفرق المسرحية التى تقوم بالتمثيل على مسرح البلدية، ومن كتاباته العمل المسرحى الشهير "ست البنات".

ومـن تلاميـذ المسـيرى ومـن شـباب رواد المقهـى المسـرحيان الكبيـران "فهـمى الخولـي" و"محمـود الحديـني" وآخـرون.

أمـا عـن المسـرح الشـعري.. فقـد كان مـن أهـم داعـمى المقهـى الشـاعر الكبيـر "عزيـز باشـا أباظـة" بصفتـه مديـرا لمديريـة البحيـرة، وهـو مـن أهـم رواد المسـرح الشـعرى بعـد "أحمـد شـوقي"، كمـا كان أحـد أهـم تلاميـذ المسـيرى الشـاعر الكبيـر "محسـن الخيـاط" أحـد رواد هـذا المجـال.

أمـا عـن النقـد المسـرحى وكل أنـواع النقـد، فقـد كان يمارسـه الكثيـر مـن الـرواد الأوائـل، وكـذا الضيـوف مـن كبـار النقـاد مثـل "أنـور المعـداوي" و"علـى الـراعي" و"محمـد منـدور" وغيرهـم، وأيضـا مـن تلاميـذ المسـيرى مـن رواد المقهـى مثـل الناقـد الكبيـر "علـى شـلش" و"مختـار أبـو غالـي" و"عدلـى برسـوم" وآخريـن.

أما بالنسبة للسينما:

فعـلاوة علـى "أمـين يوسـف غـراب" الـذى كان دائـم الاتصـال بالسـينمائيين لتتحـول قصصـه إلـى أفـلام سـينمائية، مثـل "شـباب امـرأة" و"الليالـى الطويلـة" و"الثلاثـة يحبونهـا" و"سـنوات الحـب" و"السـفيرة عزيـزة" و"حـب لا أنسـاه" و"نسـاء وذئـاب" و"خلخـال حبيـبي" و"دعـاء الحـب" و"قريـة العشـاق" و"علمونـى الحـب" و"نسـاء محرمـات" و"بحـر الغـرام" و"جريمـة حـب" و"دعونـى أعيـش" و"الأب" وغيرهـا.

وكذلك المبدع الشامل الذى اشتهر كشاعر وتلميذ المسيرى النجيب "إسماعيل الحبروك" له فيلم مشهور عن قصته "بقايا عذراء" يحمل نفس العنوان، وكتب له السيناريو والحوار صديقه "يوسف السباعي" عن قصة تحكى ما يشبه سيرة ذاتية لإسماعيل الحبروك نفسه (١) .

وكذلك الركن الركين فى "مقهى المسيري" الأديب "محمد عبد الحليم عبد الله" تحولت الكثير من أعماله إلى أفلام مثل: "غصن الزيتون" و"سكون العاصفة" و"ليلة غرام" و"عاشت للحب" عن روايته الأشهر "شجرة اللبلاب" .

فضلا عن أفلام أحد أهم رعاة المقهى "توفيق الحكيم"، مثل "الأيدى الناعمة" و"عصفور من الشرق" و"رصاصة فى القلب" و"الخروج من الجنة" و"طريد الفردوس" و"الرباط المقدس" وغيرها .

وكذا الراعى الأكثر حضورا عند رواد المقهى "يحيى حقي" ورائعتيه: "قنديل أم هاشم" و"دماء وطين" المشهورة بـ"البوسطجي"، وغيرهما .

ومما يذكر أن تلميذ المسيرى ورائد المقهى الشاعر "عبد القادر حميدة" بتحريض من نسيج المقهى قد كانت له تجربة فى التمثيل فى فيلم "الجزاء" للمبدع "عبد الرحمن الخميسي" .

(١) الفيلم من بطولة: مريم فخر الدين، زكى رستم، شكرى سرحان، فؤاد المهندس، ماجدة الخطيب ونادية عزت، قصة: إسماعيل الحبروك، سيناريو وحوار: يوسف السباعى، إخراج: حسام الدين مصطفى.

وقد لخص "رجب البنا" أثر المقهى وصاحبها فيما سبق فى قوله: "تلاميذ المسيرى اليوم فى كل مجلة وصحيفة وفى الإذاعة والتلفزيون" (١) .

٣- الموسيقى والتأليف الموسيقي:

ومن المعلوم أن من رواد المقهى مؤسس أوركسترا القاهرة السيمفونى "محمد حسن الشجاعي" صاحب سيمفونتى "متتابعات أخناتون" و"أرض الوطن" .. وانتاجات الجيل الثانى للمقهى من الذين لحقوا بأواخرها وتتلمذوا على يد روادها الأول: نقيب الموسيقيين والفنان الشامل ومتخصص التراث الشعبى "منير الوسيمي، وآخرون. فضلاً عن ندوات التراث الموسيقى التى اعتاد أن يعقدها الشامل "زكريا الحجاوي" أحد أهم رواد المقهى من الزوار وآخرين.

رابعا: بعض من أنشطة المقهى فى تنمية الموارد البشرية:

١- رعاية وتنمية المواهب الشابة: مجرد متابعه أديب كبير مثل "عبد المعطى المسيري" لمبدع صغير، ومجرد توفير المقهى لهذا الصغير بمقابلة النقاد على رصيف المقهى والتَتلمُذ على أيديهم؛ كفيل بتنمية موهبة من كان به رشفة إبداع. ولنا فى تأمل قولة "خيرى شلبي: "إن الأدب العالمى ذا القيمة الرفيعة بترجماته الدقيقة البديعة الأساليب, لم أتعرف إليه جيدًا إلا فى دمنهور بتوجيه - غير مقصود - من شباب جمعية أدبائها" .. علاوة على إقرار الدكتور "عبد الوهاب المسيري" لحقيقة أثر تلمذته على يد "عبد المعطى

(١)حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش، ص١٣٧.

المسيري" وكذا أثر البيئة الإبداعية للمقهى عليه عندما قال: "وبعد دخولى الجامعة، أصبحت عضوًا أساسيًا فى تلك الجامعة التى كانت تلتقى فى المقهى، فى جو كله مودة ودون استقطابات أيديولوجية ودون خوف أو وجل من التجريب أو الخطأ؛ فالمرء أمام أصدقائه لا يدَّعى ولا يضطر إلى موازنة الأمور، بل يعبر عما بداخله فى جرأة، وهو يعرف أن ما سيقوله سيقابل إما بالإعجاب وإما بالضحك والسخرية، وسخرية الأصدقاء، مفعمة بالحب.. إن أى مؤلف لا يكتب (للناس جميعاً) وإنما لمجموعة محددة من البشر. وكل كاتب- فى تصوري- يحتاج إلى جماعة من القراء تتوافر فيهم عدة شروط: أن يكونوا مهتمين بالقضية التى يتناولها وأن يكونوا على مستوى فكرى يمكنِّهم من الحكم على أعماله، فلا يكيلوا المدح دون حساب أو مقياس، وإلا يكونوا من الحاسدين الحاقدين. مثل هؤلاء يمكنهم توجيه النقد للمؤلف داخل أطار من الصداقة والتقبل المبدئي، ويعطيه قدرا من الشرعية، فهذا يشد من أزره، والحوار الدافئ الذكى يولد فى نفسه الثقة فيزداد الإبداع (١) .. أما عن الطلبة والشباب فكانوا كما يقول "خيرى شلبي": "كما أن أولئك الشبان كانوا هم عصب الندوات اليومية خاصة فى شهور الإجازة الصيفية, وكان الأستاذ "عبد المعطى المسيري" فخورًا بهم" (٢) . ويقول أيضاً: "ومن مظاهر أبوَّته الفياضة أنه كان يتابع أخبار الشباب المبدع باهتمام يفوق اهتمامه بأى شيء آخر فى حياته فكان أسعد خبر يمكن أن يتلقاه فى حياته، هو ما اختص

(١) رحلتى الفكرية، ص٥٤، ٥٥ باختصار.

(٢) مقال بعنوان "قصة المأساة الخالدة"، بمجلة "العربي" الكويتية، بقلم: "خيرى شلبي"، العدد ٥٦٨ لشهر مارس ٢٠٠٦م.

بنشاط الشبان" (١) ..

وكمثال حى لما سبق يقول رجب البنا: حينما أعطيته أول مقال لى فوجئت بنشره فى "جريدة المستقبل"؛ لذا فأنا أعتبر المسيرى أستاذى الأول؛ لأنه من عرفنى على أدباء العالم فقد كان ينفق أمواله على الكتب، وبخاصة المترجمة، وكان يعشق تشيكوف، وجعلنا نعشقه، فقرأنا كل أعماله، وقرأنا معه "نجيب محفوظ"، وكنا نتبادل "الثلاثية" حتى أنها تقطعت فى أيدينا. (٢)

٢- تفشى ظاهرة العمال والصنايعية الأدباء: مما يحمد لـ"مقهى المسيري" أن عدم إكمال الكثير من رواده لتعليمهم بما فيهم صاحب المقهى نفسه لم يقف عائقا أمام صناعتهم كمبدعين، بل مبدعين من أكبر مبدعى مصر. فإن كانوا يتندرون بالشاعر الكبير "عبد العليم القباني" أنه كان ترزيا.. فالكل يعلم أثر "مقهى المسيري" عليه هو وصديقه الصدوق الشاعر الكبير ابن البحيرة "عبد المنعم الأنصاري"؛ لأن "عبد العليم القباني" رغم أنه سكندري، إلا أنه من أبناء مدينة "مطوبس" المرتبطة تاريخيا بمدينة دمنهور التى تعتبرها حاضرة ثقافية لها كما يقول ابن مطوبس "د. خالد عزب" (٣)

ومن أمثلة هذه النهضة فى تنمية الحس الإبداعى عند

(١) حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش، ص:١٤.

(٢) مقال بعنوان "مقهى المسيرى فى دمنهور، سجل الثقافة المصرية"، مرجع سابق.

(٣) يقول "د. خالد عزب" ابن مدينة "مطوبس" فى مقال بعنوان "دمنهور مدينة الإله حورس" فى مجلة العربى الكويتية، العدد ٦١٨: "عرفت دمنهور صغيرا، فهى فى مصطلح المصريين بندر، ومصطلح بندر كان يطلق على المدن الكبيرة ذات الشوارع الواسعة والمرافق الخدمية المتنوعة، يزورها أهل مدن وقرى شمال غرب دلتا النيل لزيارة الأطباء بحثاً عن الشفاء، أو للتسوق أو لترويج بضائعهم".

العمال والصنايعية الآتى (مثالا.. لا حصرا):

الأستاذ "عبد المعطى المسيري": (قهوجي)..

والروائى الكبير "أمين يوسف غراب": (عامل بسيط.. ثم موظف بسيط فى مجلس المدينة بدرجة عامل).. وقد كان فى السابق أميًّا (لا يقرأ ولا يكتب) حتى سن السابعة عشر..

والقاصّ والروائى الكبير "محمد صدقي" الذى يعدونه فى مكانة الأديب الروسى العالمى "ماكسيم جوركي": (منجد أفرنجي)..

والشاعر الكبير "محمد حامد داود": (نجار متخصص فى تصليح كراسى المقاهي)..

وأحد أشهر زجالى مصر "حامد الأطمس": (نجار سواقى ري)..

والشاعر الكبير والكاتب الصحفى "سعيد فايد": (حلاق).. وهو الذى يعدونه من أساطين شعر الفصحى.

.. بل أن تجربة "مقهى المسيري" قد أغرت الآخرين فى محاكاتها ومحاكاة أنشطتها الرائدة؛ لذا يقول "أ. رجب البنا": "كانت القهوة سببا فى نهضة ثقافية كبيرة امتدت حتى ربوع مصر، وذاع صيتها وانتشرت الفكرة فى عدد من المحافظات وبدأت تجربة مثلها فى الإسكندرية فى شارع صفية زغلول.

فبدأ بائع لب وسودانى يدعى رجب نفس الفكرة.. ثم فى الزقازيق بائع فاكهة وهو "مرسى جميل عزيز" الذى كان يكتب أغانى لكبار المطربين فى العالم العربى ولُقب بشاعر (الألف أغنية)((١)). وتلك الظاهرة قد تكلم عنها الأستاذ "رجب البنا" فى مقال له بالأهرام بتاريخ ١٨/ ٨/ ١٩٩٢م بعنوان "الموظفون لا يصنعون نهضة".

٣- جهوده فى الإصلاح الاجتماعى بجانب تنمية المواهب: بل أن من يتتبع السيرة الذاتية للأديب الكبير "خيرى شلبي" ليعلم أنه كان فى طريقه لاحتراف الإجرام، ولولا ولوجه فى زمرة تلاميذ المقهى لانحرف فى اتجاه آخر غير ما يسره الله إليه.

وقد ألمح بذلك فى رواية "وكالة عطية"، كما أفاض تصريحا أيضا فى أحاديث صحفية بفضل الأستاذ "عبد المعطى المسيري" وفضل مقهاه على تغيّر سلوكه، وانضمامه ضمن عداد المبدعين. يقول خيرى شلبى عن أول مقابلة بينهما: "استقبلنى بحفاوة كبيرة جدا، وأوسع مكاناً لى بجواره.. وشجعنى بحب شديد وأعطانى الألفة والحميمية فأزال الغربة عنى فى الدقائق الأولى فكأنى أعرفه منذ سنوات بعيدة.. وقد تعمقت صلتى بالأستاذ فعرفت فيها أباً ومعلماً وفيلسوفاً ترتاح له النفس وتطمئن وعرفت فى المقهى بيتاً رحيباً آمناً يحتضن أحلامنا وينميها ويحولها إلى حقائق" (٢).

وعن استيعاب أستاذه المسيرى له ولأول أعماله رغم بساطته - يقول

(١) مقال بعنوان "مقهى المسيرى فى دمنهور، سجل الثقافة المصرية"، مرجع سابق.

(٢) حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش، ص١٣٩، ١٤٠ باختصار.

"خيرى شلبي": "استمع إلى قصتى بإمعان, ثم انبسطت ملامح وجهه بابتسامة عطف وتشجيع, قال إنه سيتقبل رومانسيتها الزاعقة؛ نظرًا لأن تجاربى فى الحياة كشاب صغير السن لا تمكننى بعد من كتابة أدب واقعى يرى أنه قد بات ضروريًا للكشف عن معاناة الشعب المصرى حتى تنتبه إليها حكومة الثورة, وتعمل على رفعها وإقالة هذا الشعب المسكين من ربقة الذل والفقر الأزلي"((١)) ..

وقد كان من نتاج ذلك أن بعض رواد المقهى قد بلغوا درجة الفلاسفة أو قاربوا مثل "د. نظمى لوقا" و"د. عبد الوهاب المسيري" وآخرين.

٤- **إنشاء شبكة علاقات اجتماعية ثقافية عالية التشابك:** من حسنات منتدى "مقهى المسيري" أنه عمق من شبكة علاقات ثقافية بين جموع المبدعين وبين رواده بعضهم بعضاً، وبينهم وبين كبار المبدعين فى مصر كلها.

فذاك يجالس الأديب الكبير "فلان" على رصيف المقهى وتصير بينهم صداقة ورعاية أدبية وثقافية وأحياناً اجتماعية؛ مثل ما حدث بين الأديب الكبير "محمود تيمور" وشاب من صغار الكتاب آنذاك - "رجب البنا" (٢) .. وذاك يستخدم "عبد المعطى المسيري" علاقاته لتوصيل موهبته فى مجراها الطبيعي، فيلمع نجماً، ويكون سنداً وعوناً لكثير من زملاءه فى مدرسة رصيف المقهى، فتنشأ شبكة

(١) مقال بعنوان "قصة المأساة الخالدة"، بمجلة "العربي" الكويتية، مرجع سابق.

(٢) يقول "رجب البنا": وأذكر الندوة الكبيرة التى عقدها "محمود تيمور" ويومها تناول الغداء فى منزلي، وتوطدت علاقتى به وزرته بفيلته فى جناكليس وكان يدعونى دائما فى تريانون، ونشر لى قصة كاملة فى "مجلة المساء" على صفحة كاملة" (انظر: مقال بعنوان "مقهى المسيرى فى دمنهور، سجل الثقافة المصرية"، مرجع سابق).

ثقافيـة حضاريـة اجتماعيـة فـى إقليـم مهمَّـش مثـل "دمنهـور" يعمـل علـى المسـاعدة فـى تنميتـه وتنميـة مـوارده.

وهـذا ممـا دعـا "خيـرى شـلبي" لأن يقـول عـن المسـيري: "فقـد كان "المسـيري" حلقـة الوصـل بـين الأعضـاء بعضهـم البعـض، وكان ينزعـج جـدا إذا اكتشـف أنـه نـسى أن يعـرِّف أحـداً بأحـد وكأنـه ارتكـب جرماً عظيمـاً فـكان بأخـلاق الفرسـان يسـرع فـى الحـال بالاعتـذار فـى رقـة شـديدة، ثـم يلخـص شـخصية كل أديـب للآخـر تلخيصـا دقيقـا فيـه مـا يحـب الواحـد أن يعرفـه عـن الآخـر، وإذا تـرك أحـد الأدبـاء كتابـا لصديقـه فـإن المسـيرى كان يوصلـه إليـه بـود بالـغ" (١) .

لـذا فقـد كان يكفـى لأديـب كبيـر مثـل "سـعد الديـن وهبـة" أو "خيـرى شـلبي" أن تخبـره بأنـك مـن مدينـة دمنهـور بلـد "مقهـى المسـيري".. كان هـذا يكفـى لتحظـى بعظيـم احتفـاء ورعايـة وعـون؛ لأنـك مـن - ريحـة الحبايـب - وهـذا مـا يفـوح بـه قـول الشـاعر الكبيـر "فـاروق جويـدة" فـى حديثـه عـن المصـور الفنـان "أنطـوان ألبيـر" مصـور الكبـراء والرؤسـاء حـين قولـه: " كثيـراً مـا كان يقتحـم مكتبـى ومعـه رفـاق مشـواره مـن أبنـاء دمنهـور الروائـى "صبـرى العسـكري" والشـاعران "عبـد القـادر حميـدة" و"فتحـى سـعيد" ونذهـب جميعـاً إلـى الراحـل الكبيـر "توفيـق الحكيـم" وهـو مـن أبنـاء دمنهـور"((٢)) ..

ولعـل مـن تجليـات الفكـرة مـا لخـص بـه "رجـب البنـا" تركـة "عبـد

(١) مقال بعنوان "قصة المأساة الخالدة"، مرجع سابق.

(٢) مقال بعنوان "أنطوان ألبير"، بجريدة الأهرام، بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٢م، بقلم: "فاروق جويدة".

المعطى المسيري" الأدبية: فى قوله: "و"عبد المعطى المسيري" ينتمى إلى طائفة سقراط، فأعظم ما تركه ليس كتبه ولكن عظمته تكمن فى أنه كان صاحب مدرسة فى دمنهور، فمقهاه كان حقيقة مدرسة، وتلاميذ المسيرى اليوم فى كل مجلة وصحيفةً وفى الإذاعة والتلفزيون" (١) .

خامسا: بعض من أنشطة المقهى فى التنمية بالثقافة الجماهيرية:

١- استضافة المقهى لكبار الأدباء والنقاد والمبدعين: يقول أحد أهم أركان "مقهى المسيري" الروائى "أمين يوسف غراب" عن اجتذاب تجربة المقهى لكبار الأدباء والنقاد والكُتاب: "رصيف "مقهى المسيري" كان ملجأ الأدباء والكُتاب، وكان البوتقة التى صهرت عقلى وتفكيرى وشعورى بفضل جماعة الأدباء والكتاب هناك" (٢) .

لذا فإن "د.خالد عزب" يقول: "وبدأ أعلام الفكر المصرى والعربى يتوافدون على المقهى ومنهم "يحيى حقي" و"محمود تيمور" و"توفيق الحكيم" و"زكى مبارك" و"الرافعي" و"الشجاعي" وغيرهم".

و"خيرى شلبي" أيضا يقول: وكانت "مقهى المسيري" تضم ندوات ويجلس معنا أدباء كبار مثل "يحيى حقى" و"محمود تيمور"، لذلك فأنا أدين لـ"مقهى المسيري" الذى كان مدرسة تعلمت فيها الكتابة الصحفية والأدب الصحيح.

(١) حكاية مقاهى الصفوة والحرافيش، ص١٣٧.

(٢) فى مقال نشر فى جريدة "وطني" فى يوليو ١٩٦١م

وأما "رجب البنا" فيقول: "عشت أهم تجربة ثقافية من خلال قهوة المسيرى التى لم تكن مقهى تقليديا بالمعنى المعروف.. وقد عرفت للمرة الأولى "نجيب محفوظ" و"يحيى حقي" و"لويس عوض" و"د. محمد مندور" من خلال "قهوة المسيري"، فهذه الأسماء الكبيرة كانت تتردد عليها لشعورهم أن دمنهور بها تجربة ثقافية كبيرة وجيل جديد من الأدباء و المفكرين.. وكنت واحداً من هؤلاء، وحتى الآن لم تتكرر حالة الفوران الثقافى التى تسببت فيها داخل دمنهور" (١) .

كما قال فى موضع آخر: "كان على رصيف القهوة خاصة فى الصيف مجموعات كبيرة من الأدباء والكُتاب والصحافيين وكانت الندوات تمتد حتى الفجر، وكان من زوارنا "عبد المعطى حجازي" و"أنور عبد الملك" و"صلاح عبد الصبور"، والدكتور "على الراعي"، و"زكريا الحجاوي" (٢) .

٢- مطبوعات ومنشورات أثرت الحياة الثقافية فى مصر: يقول الأديب الكبير "محمود البدوي": "وكانت دمنهور فى ذلك الوقت خلية نحل نشطة دون سائر المديريات.. وكانوا جميعا يتعاونون فى صفاء ومودة وإخلاص على طبع الكتب وإصدارها إحياءاً للأدب وانتعاشه دوماً.. كانت قهوة المسيرى منتدى أدبياً عامراً وحافلاً على الدوام بالأدباء من القاهرة والإسكندرية ودمنهور، وكان عبد المعطى قطب الدائرة والخلية

(١) مقال بعنوان "رجب البنا، اعتذرت عن رئاسة مجلس إدارة دار المعارف حتى لا أترك الأهرام"، مرجع سابق.

(٢) مقال بعنوان "مقهى المسيرى فى دمنهور، سجل الثقافة المصرية"، مرجع سابق.

منتجة ونشطة وتظهر آثارها.. فى كتاب يُطبع فى دمنهور أو الإسكندرية لقربها من دمنهور.. كان المجتمع الأدبى منتجا ومفيدا.. ولم تكن اجتماعات القهوة تنتهى إلى مناقشات بيزنطية تذهب مع الريح"(١).

٣- تنظيم مؤتمرات بالجهود الذاتية: ومن ذلك المؤتمر الأول لأدباء الأقاليم بدمنهور برعاية "عبد المعطى المسيري" ورئاسة الأديب الكبير "يحيى حقي" سنة (١٩٥٨م) (٢) .

كما كان من تجليات تلاميذ المقهى الاحتفالية العالمية لتكريم ذكرى الشاعر الكبير "أحمد محرم" التى أقامتها محافظة البحيرة بتدبير مشترك من تلاميذ المسيرى والمحافظ المبدع "وجيه أباظة"، وهى الاحتفالية التى يقول عنها "أ. يوسف القعيد": "وفى هذا المؤتمر رأيت وجوه الثقافة المصرية والعربية والعالمية لأول مرة وجها لوجه, بل إن الأمر لم يخل من اللقاء مع نجوم فن تلك الأيام نجوم القاهرة الذين لم نكن نراهم إلا على الشاشة الكبيرة" (٣) . وكان هناك تكريم آخر قبله فى دمنهور أيضا سنة (١٩٣٧م) تحت رعاية المناضلة الكبيرة "هدى شعراوي" و"عبد المعطى المسيري" وكل رواد المقهى.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: شبكة المعرفة المجتمعية "كنانة أون لاين، موسوعة الشخصيات، حرف (ع)، على الرابط:
http: //www. kenanaonline. net/page/557

(٣) مقال بعنوان "مكتبة دمنهور العامة، بجريدة الأهرام المصرية، بقلم: يوسف القعيد، العدد٤٤٦٨٨، السنة١٣٣، بتاريخ ٢٠٠٩/٤/١٣م.

"أ. هدى شعراوي" فى حفل تكريم الشاعر الكبير "أحمد محرم"- دمنهور سنة (١٩٣٧م)

٤- عمل كيانات ثقافية وأدبية رائدة فى مصر كلها:

مثل أول جمعية أدباء فى الأقاليم المصرية "أدباء دمنهور". كما يقول "رجب البنا": "وعلى يديه تأسست أول جمعية أدباء فى الأقاليم فكونّا "جمعية أدباء دمنهور" فى قلب المقهى، وكنت سكرتيرها، وكنت فى السنة الثانية الجامعية. وكنا نجمع الاشتراكات ونقيم الندوات وندعو الأدباء ونحجز لهم فنادق للمبيت فى الإسكندرية؛ نظرا لأن دمنهور لم يكن بها فنادق"(١).

كما أن من المعلوم عن الشاعر "صالح المصري" أحد رواد المقهى أنه من مؤسسى "الهيئة العليا لرعاية الفنون والآداب".

بل إن الكاتب قد لا يبلغه أى قليل من مبالغة حين ادعائه بأثر منتدى "مقهى المسيري" غير المباشر وأحيانا المباشر على التحريض الضمنى وأحياناً الصريح على المؤسسة الثقافية الحرة المتكاملة (ساقية

(١) مقال بعنوان "مقهى المسيرى فى دمنهور، سجل الثقافة المصرية"، مرجع سابق.

الصاوي)، التى هى عبارة عن منتدى ثقافى على غرار منتدى "مقهى المسيري" التى شرب والد مؤسسها (عبد المنعم الصاوي) من نبعها الفياض، ولكن بشكل أكثر عصرية.

المطلب الثاني:
فلسفة الزمكانية فى واقع "عبد المعطى المسيري"

تكلم غير واحد من النقاد عن هجرة الأدباء والمثقفين من رواد أحد أهم المقاهى الأدبية ببغداد العراق "مقهى حسن عجمي".. تكلموا عن تغير وجهتهم عنه بسبب غياب صاحب المقهى الراعى للفنون والآداب، وذلك فى شكل احتجاجى جماعى إثر حدث تعرض له أحد الأدباء على يدى المالك الجديد للمقهى "الفظ" على حد وصف "مكاوى سعيد"((١)). وأيضا فسر "صلاح عبد الحميد" انتقال الأدباء إلى "مقهى الشابندر" المقابل الذى أصبح الوريث لرواد "مقهى حسن عجمي" بسبب تذمرهم من صلافة صاحبه الجديد((٢)).. كما أفاض كثيرون منهم "مكاوى سعيد" فى كتابه "مقتنيات وسط البلد" فى رصد تغير منحنى الأنشطة لـ"مقهى ريش" كلما تغير مالكه((٣)).. أى أن المكان (المقهى) تتأثر أنشطته بتوجهات وطبائع صاحبه.

والمتتبع لتاريخ الإبداع فى مقهى ما، وليكن "مقهى المسيري" بدمنهور، يستطيع إدراك معادلة الإبداع الزمكانى الخاص بالمقهى،

(١) المقاهى فى تاريخ الأدب، ص١١٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٢.

(٣) مقتنيات وسط البلد، ص٤٣٥.

والـتى تمثلـت فـى أركان ثلاثـة لا يمكـن فصـل واحـد منهـم عـن الآخـر:

(المكان) المتمثل فى المقهى ودمنهور المكان.

(الزمان) المتمثـل فـى البيئـة ودمنهـور الزمـان (أى دمنهـور فـى زمـان بـزوغ المقهـى).

(الحركـة) المتمثلـة فـى "عبـد المعطـى المسـيري"]الإنسـان[ورفاقـه (أسـاتذة زمـلاء تلاميـذ).

مـا سـبق.. ثلاثـة أركان كمـا متغـيرات دالـة مـن ثـلاث متغـيرات:

(زمان + مكان + إنسان) = (حضور).. أو تحضر من الحضارة.. أو:

(المقهـى كمـكان + دمنهـور كبيئـة + المسـيرى كإنسـان) = (منتـج ثقافـى بالـغ الأثـر والامتـداد)..

لأن الحضـارة هـي: "ثمـرة التفاعـل بـين الإنسـان والكـون والحيـاة".

وعليـه.. فمـاذا لـو أن البيئـة تغيـرت فانتقـل المسـيرى لمـكان آخـر ليـس لـه نفـس السـمة الفكريـة الـتى سـاعدت فـى إنتـاج تلـك الثقافـة أو الحضـارة؟.. هـل سـيبقى عطـاء المسـيرى الحركـى ينتـج نفـس مخرجـات المعادلـة الأصليـة؟.. وهـل مـن الممكـن التنظيـر علـى كـون البيئـة دالـة علـى

obeikandl.com

الإبداع ولو بنسبة ما؟.

ثم ماذا لو غُيب "عبد المعطى المسيري" عن المكان والزمان [التاريخ] مع بقاء العنصريين الأخريين؟ وهل من الممكن تجاهل الفروق الفردية بين أفراد مجتمع واحد دون أية ترجيح للأوزان النسبية لحركة كل فرد فيه؟.. أو بمعنى آخر: "هل كان سيستمر الفعل الإبداعى بنفس الدرجة عند غياب المسيرى عن المقهى؟".

وبتطبيق ذلك عن ظاهرة إبداع المبدعين فى "مقهى المسيري" تبرز كثير من الأسئلة:

هل السبب فى هذا الإبداع هو المكان "مقهى المسيري" وفقط؟.. فالمكان مستمر كمكان فى نفس البقعة الجغرافية إلى الآن، إلا أن تأثيره النفسى لم يستمر بنفس التأثير السابق. فالبعض يشعر معه بالحنين للماضى نوستالجيا - والكثير يعيش معه فى الحاضر حيث الواقع المرير فى تحوله لمقهى متخصص فى عرض مباريات رهانات ما يُسمى بالمصارعة الحرة.

وهل السبب فى هذا الإبداع هو المكان: البقعة الجغرافية الأكبر "دمنهور" كمدينة؟.. فبرواية اللقاء الأول بين "عبد المعطى المسيري" والأديب الكبير "يحى حقي" تاريخيا، يدرك من به قليل وعى أن المقاهى المجاورة لـ"مقهى المسيري" لم تكن تنسج على نفس المنوال الإبداعي.. فلم يكن منهم واحد مثل "المسيري".

والحكاية يرويها "الحاج إبراهيم" ابن أخيه كموقف طريف: "فى سنة (١٩٣٨م) حينما أراد الكاتب الكبير "يحيى حقي" زيارة المسيرى بعدما ذاع صيته فى القاهرة، راسل المسيرى واتفق معه على موعد لزيارته، ولما جاء حقى ليبحث عن ذلك المثقف العصامى دخل بالخطأ "مقهى الخوالقة" والتقى بصاحب المقهى محمد ووجده لا يعرف شيئاً عن الأدب، فعاد حزيناً للقاهرة وكتب مقالاً يقول فيه إن هذا "المسيري" ما هو إلا قصة وهمية لا وجود له. فرد عليه المسيرى بمقال فى جريدة "الوادي" قائلاً: "قزمان على الحبل لا يلعبان" فتدارك حقى هذا الخطأ وعاود زيارته وتوطدت علاقتهما بعدها".

أم هل كان السر فى الحقبة التاريخية أو الزمان الذى كانوا يعيشون فيه وفقط؟.. فما زالت أثار المقهى ممتدة الأثر فى وجدان كثير من أدباء ومثقفى المدينة والمدن المجاورة إلى الآن.. بل وتكاد تشكل وعيا عاما لمنطقة بأثرها..بل أن هناك بعض المقاهى التى تأوى دراويش "مقهى المسيري" إلى الآن من المثقفين والأدباء مثل "مقهى الرشيدي" بميدان الإستاد و"مقهى الماسة" التى تجاورها و"مقهى البنا" بميدان الساعة حتى أوائل سنة (٢٠١٦م) قبل إزالته (١) .

(١) أنظر: مقال بعنوان "دمنهور.. المجد للمسيري"، بجريدة القاهرة بتاريخ ١٢ مايو ٢٠١٥م، بقلم: "هانى قطب الرفاعي" يقول فيه: (الزائر لمدينة دمنهور سيجذب انتباهه شيئان، هما انتشار مقامات الأولياء، فلا يكاد يخلو شارع أو حى فى هذه المدينة إلا وبه مسجد عتيق مبنى فوق مقام أحد الأولياء. سيجد مقامات ومساجد سيدى عطية أبو الريش ومسجد ومقام سيدى الحصافى والمردانى والزرقا والخراشى والأفلاقى والجزيرى وخضر، وغيرهم. الشيء الآخر الذى سيجذب الانتباه هو انتشار المقاهى بدمنهور، هذه المدينة القديمة التى تُعد هى ودمشق أقدم مدينتين باقيتين منذ عصور تمتد آلاف السنين قبل الميلاد؛ فاسم دمنهور مشتق من اللغة الهيروغليفية أنها مدينة الإله حورس، ويقال أيضًا إنها كانت مهد العلوم الإنسانية وبها كان الإله تحوت الذى عَلَّم المصريين الزراعة وكل العلوم القديمة. وأنت تسير فى شارع ٢٣ يوليو ستجد أشهر مقاهى دمنهور الثقافية وهو مقهى المسيرى الذى أسسه الأديب الراحل عبد المعطى المسيري، هذا المقهى كان قِبلة لكل أدباء مصر، خرج من هذا المقهى الكاتب الكبير رجب البنا، والروائى الراحل خيرى شلبي، والأديب الراحل ابن دمنهور محمد صدقي، الذى أسس صفحة أدباء الأقاليم بجريدة الجمهورية، وكذلك الشاعر الغنائى سعيد فايد، وإسماعيل الحبروك، ونفس المقهى خرج منه القاص رضا إمام والشاعر محمد عسكر، إلا أن هذا المقهى بعد رحيل صاحبه هَجره الأدباء ليحطوا من جديد على مقاهى ثقافية أخرى. فى ميدان الساعة، والذى يسمى ميدان الثورة، تقع قهوة البنا، ذلك الرافد الجديد لأدباء مدينة دمنهور حيث ستجد

.. اللحظات الأخيرة فى حياة "مقهى البنا" بميدان الساعة بدمنهور، والتى تم هدمها أوائل سنة (٢٠١٦م)..

وهل نتكلم عن شخص "عبد المعطى المسيري" وفقط؟؟.. فهو قد فشل وأخفق فى مكان آخر " القاهرة" كما صرح أكثر من واحد منهم "إبراهيم أصلان"(١) و"محمود البدوي" - بل كانت معاناته سببا فى حرمان مصر بالكامل إن لم يكن العالم العربى - لامتداد جامعته الأهلية التى توقفت بمجرد انتقاله للقاهرة.

الشاعر سعيد عبد المقصود جالسًا فى أحد الأركان يكتب الشعر وبجواره القاص محمد عقده ومحمد رجب عباس والشاعر عمرو الشيخ، وهم يجلسون على رصيف المقهى يتجادلون حول ما وصل إليه مستوى الإبداع فى مصر وهم يرصدون تراجعًا فى الثقافة المصرية مقارنةً بالإبداع العربى فى بلاد المغرب العربى وبلاد الشام. أما فى ميدان الاستاد فستجد مجموعات من المثقفين على اختلاف أيديولوجياتهم يتجادلون فى الأحوال السياسية، ستجد مجموعة مقهى الماسة الشاعر كمال عبد الرحمن بأشعاره الحالمة جالسًا مع الأستاذ كامل رحومة، أوفى أبناء وتلاميذ الدكتور عبد الوهاب المسيرى صاحب الكتابات الموسوعية حول تاريخ اليهود فى الشرق والعالم، ومعهم مجموعة من السياسيين مثل طارق البشبيشى وطارق أبو السعد المنشقين عن جماعة الإخوان المسلمين، ومعهم أيضًا المثقف الواعى سعد العزالى والأستاذ سلامة أبو خطوة. أما على مقهى الرشيدى بميدان الاستاذ أيضًا فستجد الأديب المتصوف الدكتور سعيد هويدى فى جدال ونقاش مع الأستاذ سيد إمام حول الموروث العربى والإسلامي، وضرورة الانفتاح على العالم وتجديد الخطاب الثقافى والديني. ثم ينضم لهم الدكتور زهدى الشامى برصانته وهدوئه ليقول رأيه فى الحداثة وما بعد الحداثة فيرفض سيد الإمام ما يطرحه فهو أحد مُنظرى أدب ما بعد الحداثة، لكن يشارك الأستاذ حمدى عقدة والدكتور رضا عبد اللطيف وهما يؤيدان زهدى الشامى فى آرائه التقدمية، فيجذبان طرف الحديث حول التجربة الناصرية التى يؤيدانها فيعقدان المقارنة بين عبد الناصر والسيسي. تمر الأيام والليالى ومثقفو دمنهور ومبدعوها يديرون حلقات النقاش حول مستقبل الثقافة والسياسة فى مصر، من هنا يتشكل رأى عام داخل هذه المدينة العتيقة له علامة واحدة مميزة، هى جبهة معارضة وممانعة لكل أنظمة الحكم المتتابعة على اختلاف توجهاتها السياسية نحو تحقيق عدالة اجتماعية وتقدم ورقيّ لهذه المدينة. وكما كانت مقامات الأولياء علامة على التدين الفطرى لأبناء دمنهور، تبقى مقاهى المدينة علامة بارزة على الحراك الثقافى والسياسى الذى تتميز به دمنهور سعيًا نحو الأفضل(.

(1) أصلان، إبراهيم، خلوة الغلبان، دار الشروق، مصر، ط٣، ٢٠٠٣م.

أم نتكلم عنهم جميعا "الإنسان": [المسيرى ورفاقه والمجتمع].. والمكان: [المقهى والمدينة والمجتمع أيضا] والزمان: [التاريخ الزمنى للمكان والإنسان فى النصف الأول من القرن العشرين بامتداده للآن].. وبذلك نتكلم عن تعانق الزمان والمكان الجدلية المتأثرة بمفهوم "الزمكان" أو "نسبية أينشتين" التى لا يستطيع أحد فيها فصل أى من المتغيرات الأخرى عن الأخر.

انتقال "أ. عبد المعطى المسيري" للقاهرة:

.. ويبدو أن إجابة هذه الأسئلة السابقة ستكون من اليسير بمكان عند استدعاء الحادثة التاريخية التى جعلت "عبد المعطى المسيري" يترك المقهى بدمنهور وينتقل إلى القاهرة لتسلُّم وظيفته الجديدة فى المجلس الأعلى للثقافة هو و"حامد الأطمس" ومن قبلهما "أمين يوسف غراب". عن طريق أقوال راصدى هذا التاريخ:

يقول الأديب الكبير "محمود البدوي: " وجذب بريق القاهرة أمين غراب أولا ثم عبد المعطى المسيري.. ثانيا.. وكان الجذب فى قوة المغناطيس وشده.. ولم تستطع نصيحة من صديق مخلص، أو كلمة تخرج من فم عاقل أن تمنع ذلك.. وقد أفاد واستفاد غراب من هذا الانتقال.. ولكن عبد المعطى خسر خسارة كبيرة.. خسارة مادية ومعنوية".. ثم يرصد تميز البيئة الفكرية الدمنهورية عن غيرها قائلا: "فقد كانت قهوة المسيرى منتدى أدبيا عامرا.. وحافلا على الدوام بالأدباء من القاهرة والإسكندرية ودمنهور.. وكان عبد المعطى قطب الدائرة والخلية منتجة ونشطة، وتظهر آثارها.. فى كتاب يطبع

فـى دمنهـور أو الإسـكندرية لقربهـا مـن دمنهـور.. كان المجتمـع الأدبـى منتجـا ومفيـدا.. ولـم تكـن اجتماعـات القهـوة تنتهـى إلـى مناقشـات بيزنطيـة تذهـب مـع الريـح".. ثـم يعلـق علـى هـذه الحالـة فـى حـزن وأسى قائـلا: "ولكـن الريـاح تجـرى بمـا لا تشـتهى السـفن" (١) .

ومـن قبـل ذلـك نبـوءة عميـد الأدب العربـى "طـه حسـين" بتميـز الحالـة الدمنهوريـة الـتى يسـبح فيهـا إبـداع "عبـد المعطـى المسـيري" عـن بعـض البيئـات الأكثـر تحضـرا مثـل القاهـرة والإسـكندرية، فـى قولـه عنـه: "وأكبـر الظـن أن الكاتـب الأديـب لـم يفـارق دمنهـور، ولـم يـزُر القاهـرة والإسـكندرية، أو لـم يزرهمـا إلا لمامـا، ولـو أنـه تـردد عليهمـا، وأقـام فيهمـا، واختلفـت بعـض الـشيء إلـى مـا يقـوم فيهمـا مـن المتعلمـين والمعلمـين، لأشـفقت عليـه أن ينالـه شيء غيـر قليـل مـن الإعجـاب بنفسـه.. ولأشـفقت عليـه أن يبلـغ اليـأس إلى قلبـه البـريء، ويصـل الحـزن الأدبـى إلـى نفسـه الـتى يظهـر أنهـا لـم تعـرف الحـزن بعـد" (٢) .

والأديـب الكبيـر "محمـود تيمـور"، أيضـا يرصـد كـون أن دمنهـور هـى البيئـة الحاضنـة لإبـداع المسـيرى عـن غيرهـا، فـى قولـه: "لـم ينقـض الحـول الأول علـى عـودة المسـيرى إلـى وطنـه الأصيـل حـتى طالعنـا بهـذه المجموعـة الجديـدة الـتى أيدينـا الآن - يقصـد "الظامئـون" - مجموعـة طريفـة مـن الأقاصيـص والخواطـر أودعهـا إحساسـاته ومشـاهداته

(١) مقال بعنوان "بريق القاهرة يجذب القصاصين"، فى ذكريات محمود البدوى فى مجلة الثقافة، السنة السابعة، العدد ٧٦، يناير ١٩٨٠، وفى كتاب "ذكريات مطوية"، إعداد: على عبد اللطيف وليلى محمود البدوي، مكتبة مصر، مصر، ٢٠٠٦م، مرجع سابق.

(٢) المسيري، عبد المعطي، فى القهوة والأدب، نشر المؤلف، مطبعة الشعب، ١٩٣٦م، ص١٦.

وتجاربه فى الحياة بأسلوب سلس وخيال وثّاب" (١) .

وعن دور المقهى فى الحركة الثقافية العربية يقول "أ. رجب البنا": "عشت أهم تجربة ثقافية من خلال قهوة المسيرى التى لم تكن مقهى تقليديا بالمعنى المعروف.. وقد عرفت للمرة الأولى "نجيب محفوظ" و"يحيى حقي" و"لويس عوض" و"د. محمد مندور" من خلال قهوة المسيري، فهذه الأسماء الكبيرة كانت تتردد عليها لشعورهم أن دمنهور بها تجربة ثقافية كبيرة وجيل جديد من الأدباء و المفكرين.. وكنت واحدا من هؤلاء، وحتى الآن لم تتكرر حالة الفوران الثقافى التى تسببت فيها داخل دمنهور" (٢) .

وعن دور "عبد المعطى المسيري" نفسه يقول "عبد الرشيد الذوادي": "وكانت رسالته فى الحياة أن يكتشف أصحاب المواهب الفنية والأدبية ويتبناها دون مقابل، ويوجهها".. ويقول: "هذا الرجل وحده ساعد على إظهار عشرات من الشعراء والنقاد وكتاب القصة وأقام مئات الندوات يحضرها شباب المدينة، وينشغلوا بعدها بحوار مفيد" (٣) .

.. وهذا ما يفسر لماذا لم تستمر العبقرية الفكرية لـ"مقهى المسيري" بعد رحيل "عبد المعطى المسيري" عنه، بل أن المتأمل لحال

(١) المسيري، عبد المعطي، الظامئون، نشر المؤلف، مطبعة الشعب، مصر، ١٩٣٨م، ص٨.

(٢) مقال بعنوان "رجب البنا، اعتذرت عن رئاسة مجلس إدارة دار المعارف حتى لا أترك الأهرام"، مرجع سابق.

(٣) مقاهى الأدباء فى الوطن العربي، ص١٥١، نقلا عن مقال بجريدة الأهرام المصرية، بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٩٢م، بعنوان "الموظفون لا يصنعون نهضة"، بقلم: "رجب البنا".

المقهى الآن ليتملكه الأسى على أفول تلك البيئة الإبداعية التى تعتمد المكان كمتغير فى الإبداع بنسبة ما، وكذا تعتمد معه عبقرية الإنسان أو حركته أو فعله فى هذا المكان بنسبة ما أيضا.

.. ما سبق يدعو الكاتب لتبنِّى مفهوما معتبرا للزمكانية يؤصل لدور "الحركة" أو "الفعل" الخاص بـ"الإنسان" داخل عبقرية المكان أو بالأخص داخل (الزمان والمكان اللذين لا ينفصلان) المسميان اصطلاحا بـ"الزمكان"، وهذا المفهوم يتوافق مع كل ما سبق بيانه:

(إنسان + مكان + زمان = فعل إبداعي) .. أو (إنسان زمكانى = فعل إبداعي) ..

.. ولعل هذا مما يساعد على تفسير دعوة الأديب الكبير "خيرى شلبي" متخصصى علم الاجتماع إلى دراسة ظاهرة إبداع أبناء مدينة دمنهور (١) .

ويفسر أيضا لماذا يصف الأديب الكبير "محمد عبد السلام العمري" (٢) محافظة البحيرة بأنها: (أهم محافظة فى الوطن العربي)؟ (٣) .

ولماذا استدعى "د.أحمد زويل" فى كتابه "عصر العلم" الآثار الثقافية لمدينة دمنهور على نشأته (٤) . كما استدعى هذه الثقافة المنقولة عبر الأزمان التى يسميها: "عبقرية المكان"، ويقدم فيها تفسيرا حضاريا لفكرة

(١) تلقيت المعلومة منه بشكل مباشر، وكان يرددها كثيرا، وكان قد كتبها فى إحدى مقالاته بجريدة الأسبوع.

(٢) هو: القاص والروائى "محمد عبد السلام العمري": (١٩٤٤م: ٢٠١٠م). وترجمته بهذا الكتاب فى الفصل الخامس.

(٣) مقال بعنوان "أهم محافظة فى الوطن العربي"، بقلم: عبد السلام العمري، بمجلة الأهرام العربي، العدد١٢٣، يوليو، ٢٠٠٤م.

(٤) () زويل، أحمد، عصر العلم، دار الشروق، مصر، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٩.

"جمـال حمـدان" (١) .

ولعله أيضا يتوافق مع ما يطرحه "د.عبد الوهاب المسيري" عن مدينته دمنهور أنه يحس فيها بما يسميه: "عبق التاريخ" (٢) ، وتسميه زمكانية أينشتين بـ(متصل الزمان/ المكان) عن طريق "ميخائيل باختين" حول العلاقة الجَدلية بين الإنسان والزمان والمكان، والذى يمثل الإطار المنهجى الذى اتخذه كثير من دارسى ظاهرة الأثر النفسى والوجدانى لبعض الأماكن على بعض الأشخاص خاصة فى الأعمال الأدبية.

لكن "جاستون باشلار" يسميه: "جماليات المكان"، وهى الفكرة التى تجعل لكل واحد مكانه الذى يلهمه.. لان الحضارة لا تعدو إلا أن تكون هي:

"ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة".

.. الكاتب "كامل رحومة" وسط مجموعة من مرتادى "مقهى المسيري" فى أوائل ٢٠١٦م.. ويلاحظ مباريات المصارعة الحرة فى شاشة العرض الخلفية التى لا تنقطع من المقهى ليل نهار بعد رحيل صاحبها..

(١) () مقال بعنوان "عبقرية مصر" بقلم: د. أحمد زويل، بجريدة المصرى اليوم، العدد٢٧٣١، بتاريخ ٢٠١١/١٢/٥م.

(٢) () ينظر فى ذلك: المسيرى وثقافة المكان, مرجع سابق.